سورة الدخان

قال تعالى: ﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾ [الدخان: ٧]

القراءات: «رب» قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر بالخفض بدلًا من «ربك» والباقون بالرفع.

التوجيه: قال القرطبي: قرأ الكوفيون «رَبِّ» بالجر وقرأ الباقون بالرفع رَدًّا على قوله: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ وإن شئت على الابتداء والخبرُ لا إله إلا هو أو يكون خبر ابتداء محذوف تقديره: هو ربّ السموات والأرض وقراءة الجر على البدل من «رَبِّكَ»

وقال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «رب السماوات» برفع «رب» على أنه خبر مبتدأ محذوف، وهو من حذف المسند إليه لمتابعة الاستعمال في مثله بعد إجراء أخبار أو صفات عن ذات ثم يردف بخبر آخر، ومن ذلك قولهم بعد ذكر شخص: فتىً يفعل ويفعل: وهو من الاستئناف البياني إذ التقدير: إن أردت أن تعرفه فهو كذا. وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف بجر «رب» على أنه بدل من قوله «ربك».

وحذف متعلق «موقنين» للعلم به من قوله «رب السموات والأرض وما بينهما» وجواب الشرط محذوف دل عليه المقام. والتقدير: إن كنتم موقنين فلا تعبدوا غيره ولذلك أعقبه بجملة «لا إله إلا الله».

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ [الدخان: ١٦]

القراءات: «نبطش»: قرأ أبو جعفر بضم الطاء والباقون بكسرها.

التوجيه: قرئ بضم الطاء وكسرها، وهما لغتان بمعنى واحد مثل يعرِشون ويعرُشون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴾ [الدخان: ٢٠]

القراءات: قرأها بإدغام الذال في التاء «عُتُّ» أبو عمرو، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر، والباقون بإظهار الذال ساكنة.

التوجيه: قال القرطبي: وأظهر الذال من «عُذْت» نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب وأدغم الباقون والإدغام طلبًا للتخفيف والإظهار على الأصل، ولعل وجه قراءة الإدغام الدلالة على مزيد التصاق موسى واحتمائه بجناب الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾ [الدخان: ٢٣]

القراءات: قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر «فاسْر»، وقرأ الباقون «فَأَسْرِ».

التوجيه: قال ابن عاشور: قرئ «فاسر» بهمزة وصل على أنه أمر من «سرى» وقرئ «فأسر» بهمزة القطع، يقال: سرى وأسرى.

وقال الزمخشري: «فأسر» قرئ بقطع الهمزة من أسرى، ووصلها سرى. وفيه وجهان: إضمار القول بعد الفاء، فقال: أسر بعبادي وأن يكون جوابَ شرطٍ محذوف، وكأنه قيل: قال إن كان الأمر كما تقول فأسر «بعبادي» يعني: فأسر ببني إسرائيل، فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده، فينجي المتقدمين ويغرق التابعين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴾ [الدخان: ٢٧]

القراءات: «فاكهين» قرأ أبو جعفر بحذف الألف بعد الفاء والباقون بإثباتها.

التوجيه: قال أبو حيان: قرأ الجمهور: بألف أي طيبي الأنفس وأصحاب فاكهة كلابن وتامر وقرأ أبو رجاء والحسن بغير ألف والفكه يستعمل كثيرًا في المستخف المستهزئ فكأنهم كانوا مستخفين بشكل النعمة التي كانوا فيها، وقال الجوهري: فكه

الرجل بالكسر فهو فكه إذا كان مزاحًا والفكه أيضًا الأشر وقال القشيري: فاكهين: لاهين.

قال تعالى: ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ [الدخان: ٤٥]

القراءات: «يغلي» وقرأ حفص ورويس وابن كثير بياء التذكير وقرأ الباقون بتاء التأنيث.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «يغلي» بالياء حملًا على الطعام في قوله «طعام الأثيم» لأنّ الطعام هو ثمر الشجر في المعنى، وهو اختيار أبي عبيد لأنّ الاسم المذكور يعني المهل هو الذي يلي الفعل، فصار التذكير به أولى، وقرئ بالتاء لتأنيث الشجرة.

وقال القرطبي: وقراءة العامة «تَغْلِي» بالتاء حملًا على الشجرة وقرأ ابن كثير وحفص وابن محيصن ورُوَيْس عن يعقوب «يغلي» بالياء حملًا على الطعام وهو في معنى الشجرة ولا يُحمل على المهْل لأنه ذكر للتشبيه.

قال تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان: ٤٧]

القراءات: «فاعتلوه»: قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب بضم التاء والباقون بكسرها.

المعنى: قال الرازي: قال الليث: العتل أن تأخذ بمنكب الرجل فتعتله أي تجره إليك وتذهب به إلى حبس أو محنة، وأخذ فلان بزمام الناقة يعتلها وذلك إذا قبض على أصل الزمام عند الرأس وقادها قودًا عنيفًا، وقال ابن السكيت: عتلته إلى السجن واعتلته إذا دفعته دفعًا عنيفًا، هذا قول جميع أهل اللغة في العتل.

التوجيه: قال الرازي: قرئ بضم التاء وكسرها، وهما لغتان مثل يعكُفون ويعكِفون، ويعرُشون ويعرِشون. وقال في «لسان العرب»: قرئ بضم التاء وكسرها؛ قال الأزهري: وهما لغتان فصيحتان، ومعناه: خذوه فاقصِفُوه كما يُقصف الحطب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩]

القراءات: «إنك» قرأ الكسائي بفتح الهمزة على تقدير لام العلة والباقون بكسرها على الاستئناف.

التوجيه: قال ابن جرير: وأجمعت قراء الأمصار جميعًا على كسر الألف من قوله ﴿ ذُقْ إِنَّكَ ﴾ على وجه الابتداء، وحكاية قول هذا القائل: إني أنا العزيز الحكيم. وقرأ ذلك بعض المتأخرين «ذُقْ أَنَّكَ» بفتح الألف على إعمال قوله «ذُقْ» في قوله «أَنَّكَ» كأن معنى الكلام عنده: ذق هذا القول الذي قلته في الدنيا. والصواب من القراءة في ذلك عندنا كسر الألف من ﴿ إِنَّكَ ﴾ على المعنى الذي ذكرت لقارئه، لإجماع الحجة من القراء عليه، وشذوذ ما خالفه، وكفى دليلًا على خطأ قراءة خلافها، ما مضت عليه الأئمة من المتقدمين والمتأخرين، مع بعدها من الصحة في المعنى وفراقها تأويل أهل التأويل.

قلتُ: هما قراءتان متواترتان، وليست قراءة الكسائي ﴿ إِنَّكَ ﴾ بشاذة، بل هي متواترة، والمعنى: ذق لأنّك أنت العزيز الحكيم أو ذق بأنك أنت العزيز الحكيم.

وقال القرطبي: قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ قال ابن الأنباريّ أجمعت العوام على كسر «إن» ورُوي عن الحسن عن عليّ رحمه الله «ذُقْ أَنَّكَ» بفتح «أن» وبها قرأ الكسائي، فمن كسر «إن» وقف على «ذُقْ» ومن فتحها لم يقف على «ذُقْ» لأن المعنى ذق لأنك وبأنك أنت العزيز الكريم؛ قال قتادة: نزلت في أبي جهل وكان قد قال: ما فيها أعزُّ منِّي ولا أكرم فلذلك قيل له: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾؛ أي يقول له

الملك: ذق إنك أنت العزيز الكريم بزعمك. وقيل: هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزاء والإهانة والتنقيص كأنّه قال له: إنك أنت الذليل المهان.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾ [الدخان: ٥١]

القراءات: «مقام»: قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بضم الميم الأولى والباقون بفتحها.

التوجيه: قال ابن عاشور: والمقام بضم الميم: مكان الإقامة، والمقام بفتح الميم، مكان القيام ويتناول المسكن وما يتبعه، وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر بضم الميم. وقرأه الباقون بفتح الميم، والمراد بالمقام المكان فهو مجاز بعلاقة الخصوص والعموم، والأمين بمعنى الآمن والمراد: الآمن ساكنُه، فوصفه بـ (أمين) مجاز عقلي كما قال تعالى ﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾. والأمن أكبر شروط حسن المكان لأن الساكن أول ما يتطلب الأمن وهو السلامة من المكاره والمخاوف فإذا كان آمنًا في منزلة كان مطمئن البال شاعرًا بالنعيم الذي يناله.